معارف
ISSN 1112-7007
EISSN 6804 -2600
المجلد 17/ العدد 2 (ديسمبر 2022): ص. ص:1265-1282

الأستاذ الأصولي الفقيه النظار أبو علي منصور بن علي المشدالي الزواوي (710- 772هـ) وجهوده العلمية

The Fundamentalist Scholar Abu Ali Mansour Bin Ali Al Machdali Al Zwawi (710-772 hijri) and his scientific efforts

ط.د. نورالدين مداح

جامعة البويرة، الجزائر، meddahnourddin9@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/08/07؛ تاريخ القبول: 2022/11/11؛ تاريخ النشر: 2022/12/31

ملخص:

هذا البحث هو ترجمة للأستاذ الجليل النظار الفقيه الأصولي الشاعر أبو علي منصور بن علي بن عبد الله المشدالي الزواوي. أفنى عمره في طلب العلم والتدريس والإفادة، ومع ذلك لم تتحفنا كتب الطبقات والتراجم بتلاميذه ومصنفاته، ولولا البيان الذي كتبه لصاحبه وتلميذه لسان الدين الخطيب لكان هذا العالم الفحل في طي النسيان. ولنبوغه عين أستاذا في أشهر المدارس الأندلسية إذ ذاك وهي المدرسة النصرية بغرناطة، تخرج عليه إمام المقاصد المجدد أبو إسحاق الشاطبي، وقد حاولت هذه الورقات استجلاء الشخصية العلمية لهذا العظيم من عظماء تاريخنا العلمي.

كلمات مفتاحية: أبو علي منصور بن علي؛ المشدالي الزواوي؛ السيرة الذاتية؛ مشدالة.

Abstract:

scientists of M`chedallah (a city located in the east of Bouira), Abu Ali Mansour bin Ali bin Abdullah Almachdali Zawawi He was also appointed as a lecturer/professor in the most prestigious Andalusian school, the Nasriya school in Granada. He is the prominent professor, Faqih, fundamentalist.

and poet. Despite spent his life in teaching and community works, yet no valuable and reliable publications or biographies produced on his knowledge and science except a statement he wrote to his companion and student Lissan Din al-Khatib.

Keywords: Abu Ali Mansour bin Ali bin Abdullah Almachdali Zawawi; biography; M`Chdallah,

مقدمة:

يعتبر المشداليون من أهم البيوتات العلمية، والأسماء الجزائرية التي ساهمت في نشر العلوم والثقافة، داخل الجزائر وخارجها، حيث كانت لهم رحلات علمية عديدة، مَدُّوا بها جسور التواصل؛ من خلال التأليف والتدريس والمناقشات، والمناظرات والجدل الذي كان يثار في مختلف القضايا الفقهية والأصولية والفكرية والعقدية واللغوية. وهذا البحث هو ترجمة لعالم من علماء مشدالة، جاب حواضر العالم الاسلامي طالبا للعلم، نَبُه فَعرَف الناس قدره، حتى وصل الأمر إلى أن يستخلفه بعض علماء الأندلس في مجلس الدرس كما فعل سيبويه عصره ابن الفخار البيري، وعين أستاذا في أشهر المدارس الأندلسية إذ ذاك، وهي المدرسة النصرية بغرناطة. **إنه الأستاذ النظار الفقيه الأصولي الشاعر أبو علي منصور بن علي المشدالي.**

التعريف بالموطن والقبيلة:

مشدالة: بفتح الميم وتشديد اللام نسبة إلى قبيلة من زواوة[1]. يقول ابن خلدون إنها:" بطن من بطون البربر... فأمّا زواوة فهم من بطونهم. وقد يقال: إن زواوة من قبائل كتامة. ذكر ذلك ابن حزم. ونسّابة البربر إنما يعدونهم من ولد سمكان كما قلناه، والصحيح عندي ما ذكره ابن حزم. .... ولهم بطون كثيرة: بنو مجسطة وبنو مليكش وبنو كوفي ومشدالة وبنو زريقف وبنو كوزيت وكرسفينة ووزلجة وخوجة وزكلاوة وبنو مرانه، ويقال إن بني مليكش من صنهاجة والله أعلم"[2].

أما موطنهم: فيذكر ابن خلدون أنهم " أوطنوا منها جبالا شاهقة متوعرة تنذعر منها

(1) السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت. 80/9 التنبكتي، أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، منشورات كلية الدعوة الإسلامية_ ليبيا، ط:1_1989م.ص 538 الونشريسى، أحمد بن يحيى أبو العباس، الوفيات، تحقيق: محمد بن يوسف القاضي، شركة نوابغ الفكر للنشر والتوزيع، ط:2009،1م.1/99.

(2)ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السطان الأكبر، دار احياء التراث العربي – لبنان، ط 4، بدون تاريخ. 168/6.

الأبصار ويضل في غمرها السالك..... ما بين بجاية وتدلس"[1]. ومشدالة الآن تقع تحديدا شرق مدينة البويرة بحوالي(40كلم)

المولد و النشأة:

ولد أبو علي بمنطقة مشدالة، ولم يذكر من ترجم له سنة ميلاده [2] لكن سأله تلميذه يحي السراج فقال:" في حدود عشرة وسبعمائة 710هـ[3].

نشأ في بيت علم ودين، كان والده أستاذه الأول، حفظه القرآن، وعلمه مبادئ العلوم[4]. قال: "مولاي الوالد علي بن عبد الله – لقاه الله، الروح والريحان، وأوسعه الرضا والغفران- قرأت عليه القرآن، وبعض ما يتعلق به من الإعراب والضبط "[5].

شيوخه: ذكر أبو علي منصور شيوخه في البيان الذي كتبه لصديقه لسان الدين الخطيب، وكل من ترجم له عالة على هذا البيان. وأهم شيوخه:

أولا: شيوخه ببجاية:

_ **والده علي بن عبد الله:** وقد ذكر بأنه قرأ عليه القرآن، وما تعلق بضبطه وإعرابه. وكتب التراجم لم تسعفنا بترجمة ولو يسيرة عن والده، لكن يظهر من كلام الابن أنه كان من أهل العلم، وله شغف بالفقه وأصوله [6].

_ **أبو علي منصور بن أحمد بن عبد الحق المشدالي:** أخذ عنه علم الأصول قال:"... شيخنا المجتهد والإمام علم العلماء، وقطب الفقهاء، قدوة النظار، وإمام

(1) نفسه 169/6.

(2) التنبكتي ص 611، ابن مريم، أبو عبد الله محمد الشريف المليتي، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، اعتنى به محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية سنة 1908م 292.

(3) التنبكتي 612 ابن مريم ص293.

(4) التنبكتي 611، ابن مريم 293.

(5) الخطيب، لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة،، حققه محمد عبد الله عنان، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط:1975م . وطبعة دار الكتب العلمية - لبنان - 2003 هـ /ط:1،تحقيق : د. يوسف علي طويل249/3.

(6) ابن فرحون ابراهيم بن علي بن محمد، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دار التراث للطباعة، القاهرة 89_86/2، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، إدارة المعارف بالرباط، 1345هـ 65،66/4.

الأمصار، منصور بن أحمد المشدالي رحمه الله وقدس روحه.... فقرأت من أوائل ابن الحاجب عليه لإشارة والدي بذلك له" وذكر جهوده العلمية فقال:" ملأ بجاية وأنظارها بالعلوم النظرية وقساها، وأنظارها بالفهوم النقلية والعقلية." [1] تحصيله لأصول الفقه وأصول الدين على طريقة الأقدمين وعلى طريقة المتأخرين[2]. قيل بأنه "أوحد الفضلاء الأعلام، وآخر رجالات الكمال بإفريقيا والمغرب الأقصى، ممن جمع بين معرفة الفقه وأصوله، وأحكم حظا وافرا من العربية... مع ثقوب ذهن، وصحة استنباط وفهم"[3]. وقال عنه ابن مرزوق الجد وصل إلى درجة الاجتهاد[4].توفي سنة731هـ عن مائة سنة[5].

بقى وفيا لرسالة التدريس إلى شيخوخته. قال تلميذه المترجم له:" فوجدته قد بلغت السن به غاية أوجبت جلوسه في داره، إلا أنه يفيد بفوائده بعض زواره. "[6].

_ **محمد بن يحي الباهلي**: قاضي الجماعة ببجاية، يكنّى بأبي عبد الله، له "شرح أسماء الله الحسنى" و" فرائد الجواهر في معجزات سيد الأوائل والأواخر" و"حواش" على مختصر ابن الحاجب، مات ببجاية سنة 743 أو 744هـ، قال عنه تلميذه أبو علي:" شيخنا المعظم، ومفيدنا المقدم... أخذت عنه جمله من العلوم، وأفردني بقراءة الإرشاد[7]. أي " الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد" للإمام الجويني.

-**محمد بن يعقوب بن يوسف أبو عبد الله الزواوي** (ت 730هـ): كان فقيها متبحرا، تولى قضاء الجماعة ببجاية، من العلماء العاملين، تصدر للإفادة و التدريس، نال حظوة في الأندلس فنوهوا به وبعلمه [8].

(1) الخطيب 249/3.

(2) الغبريني، أحمد بن أحمد بن عبد اللهن عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، حققه عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت. ط:2 /1979م ص230.

(3) التنبكتي 609.

(4) نفسه 610.

(5) ابن فرحون 610.

(6) الخطيب 249/3.

(7) الخطيب 249/3 ،250. التنبكتي 401، 402 كحالة، عمر بن رضا بن محمد، معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي بيروت، بدون تاريخ 100/12، 101.

(8) التنبكتي388_389. عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية لبنان، ط:2، 1980 م 319.

_**أبو عبد الله محمد بن أبي يوسف الزواوي** قاضي الجماعة ببجاية [1].

هؤلاء بعض شيوخ أبي علي ببجاية. ونتيجة الاضطرابات التي عرفتها ببجاية اضطر إلى الهجرة، قال:" ثم ثنيت العنان بتوجهي إلى تلمسان، راغباً في علوم العربية، والفهوم الهندسية والحسابية"[2].

ثانيا: شيوخه بتلمسان:

_ **أبو محمد عبد المهيمن الحضرمي السبتي (ت 747 هـ)** أخذ عنه الحديث والفقه والعربية[3].مجمع على جلالته وإمامته [4]. كان إماما في الحديث حجة في حفظه ورجاله، وله مراسلات كثيرة مع علماء المشرق، منهم ابن تيمية وابن عساكر وغيرهما[5]. وغيرهما[5]. وصفه ابن خلدون في تاريخه بأنه:"إمام المحدثين "[6]. ينتهي نسبه إلى الصحابي العلاء بن الحضرمي.

_ أبو العباس بن يربوع السبتي المحدث الفاضل الحسيب[7].

_ أبو إسحاق بن يحي القاضي: إمام المحدثين وعلم المسندين وسيد النحاة[8].

ثم انتقل بعدها إلى الأندلس سنة 753هـ وقد سبقته شهرته. قال لسان الدين الخطيب في الإحاطة:" فلقي رحبا، وعرف قدره "[9]. واستقر بها ما يقرب من اثنتي عشرة سنة أخذ عن جملة من كبار علمائها.

---

(1) الخطيب 3/ 250، و125/2، التنبكتي611 ابن مريم 293.

(2) الخطيب 3/ 327 و250. وانظر خبر حصار بجاية من طرف السلطان عبد الواد في تاريخ ابن خلدون336/6. خلدون336/6.

(3) الخطيب 549/1، 250/3. 395/3 وقد ترجم له بترجمة ضافية في 18،11/4.

(4) التنبكتي 611.

(5) عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي - بيروت ط : 2، 1982م 348/1، وانظر الخطيب 18_11/4.

(6)ابن خلدون 7 / 385.

(7) التنبكتي 611.

(8) التنبكتي 611.

(9) الخطيب 325/3، التنبكتي611.

شيوخه بالأندلس:

_ **أبو عبد الله محمد بن الفخار:** الأستاذ الكبير والعلم الخطير كما يقول عنه الشاطبي في الإفادات والإنشادات[1] والذي أعجب بعلم وذكاء أبي علي الزواوي.[2] وابن وابن الفخار هو"إمام الصنعة العربية"[3]، وقيل هو " الآية الكبرى في فن العربية[4] و"رحلة الوقت في فنها_ أي العربية وعلومها_"[5]. ولازمه مترجمنا إلى وفاته سنة 754هـ 754هـ. وكتب له إجازة وأذن له في التحليق بموضع قعوده من المدرسة بعده"[6].

_ **الشريف أبو القاسم محمد بن أحمد الحسيني السبتي(ت760هـ)** قاضي الجماعة بغرناطة، كان إماماً في الحديث والفقه والنحو. ولم يكن أحد بعده مثله بالأندلس. وصفه تلميذه ابن خلدون بأنه "شيخ الدنيا جلالة وعلما ووقارا ورياسة، إمام اللسان... .". وأطنب الخطيب في ذكر خصاله فقال":الشيخ الأستاذ الشريف، نسيج وحده وفريد دهره...." من تصانيفه "رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة" و"رياضة الآبي في شرح قصيدة الخزرجي"وديوان شعر سماه "جهد المقل". توفي يوم الخميس21 شعبان سنة 760هـ[7].

- **لسان الدين الخطيب**، محمّد بن عبد الله بن سعيد، قرطبي الأصل،(713 ـ ت776هـ) يلقب بلسان الدين، وبذي الوزارتين(لجمعه بين الوزارة والكتابة وقيل: بين السيف والقلم)، الوزير الشهير،، الفقيه الكاتب، يعد أعظم شخصية أندلسية ظهرت في القرن الثامن، مؤلفاته، زادت عن الخمسين منها: الإحاطة في أخبار غرناطة، والإعلام فيمن

(1) الشاطبي، أبو إسحاق ابراهيم بن موسى الإفادات والإنشادات،، تحقيق الدكتور محمد أبو الأجفان، مؤسسة الرسالة، ط:4، لبنان، 1983م.ص98.

(2) الخطيب328/3.

(3) نفسه 250/3.

(4) المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد أزهار الرياض في أخبار عياض،تحقيق: مصطفى السقا، وآخرون، طبعة فضالة، بدون تاريخ. 14/2.

(5) نفسه 09/2.

(6) الخطيب250/3.

(7) النباهي، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن، تاريخ قضاة الأندلس، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة - بيروت - 1983م ط:5، الخطيب 6/2، ابن فرحون 267، تاريخ ابن خلدون 532/7.

بويع قبل الاحتلام وغيرها من المصنفات[1]. نشأت بين المترجم له والخطيب صداقة خلدها الأخير في كتابه الإحاطة. قال أبو علي:" وجربته وصحبته، فرأيت منه دينا ونصفة وحسن عشرة"[2].

كما استفاد مترجمنا من عدد كبير من علماء الأندلس قال ابن الخطيب : "ولقي بالأندلس جلة... " [3].

جلوسه للتدريس:

جلس أبو علي للتدريس ونشر العلم، بكل بلد حل به، بجاية وتلمسان و الأندلس، قال لسان الدين الخطيب:" حريص على الإفادة والاستفادة، مثابر على تعلم العلم وتعليمه، غير أنف عن حمله عمن دونه" [4]. وقد درس جملة من العلوم منها: الأصلين؛ أصول الدين وأصول الفقه، والتفسير، والفقه، كما تصدر للإفتاء. قال الخطيب:" فتقدم مقرئا بالمدرسة تحت جراية نبيهة، وحلق للناس متكلماً على الفروع الفقهية، والتفسير"[5].

وقد حدثت له محنة ببلاد الأندلس خرج على إثرها، ورجع إلى تلمسان، لكن لم تثنه المحنة عن مواصلة التدريس. قال لسان الدين الخطيب:" وهو من لدن أزعج عن الأندلس، كما تقدم ذكره، مقيم بتلمسان، على ما كان عليه من الإقراء والتدريس." [6].

تلاميذه:

لم يذكر المترجمون للأستاذ الفقيه الأصولي أبي علي الزواوي تلامذة، لكن هم _بلا شك _ من الكثرة بمكان. فالتنبكتي في نيل الابتهاج وابن مريم في البستان ذكرا له

(1) ابن الأحمر، نثير فوائد الجمان، ص 129 وما بعدها هامش المحقق د/رضوان الداية. الزركلي خير الدين، الأعلام، الزركلي دار العلم للملايين، بيروت235/6

(2) الخطيب 325/3 طبعة عبدالله محمد عنان، التنبكتي611.

(3) الخطيب 250/3، وانظر آخر كتاب الإحاطة وما كتبه الخطيب في الترجمة لنفسه ومقدمة المحقق الدكتور عبد الله عنان، المقري، 186/1، 230 الزركلي 235/6.

(4) الخطيب 248/3.التنبكتي 611 ابن مريم 293.

(5) الخطيب 325/3.

(6) الخطيب251/3.طبعة دار الكتب العلمية.

تلميذين فقط أحدهما تلميحا يحي السراج، والثاني تصريحا وهو الإمام الشاطبي:

_ **يحي السراج**: وهو يحي بن أحمد بن محمد بن حسن الرندي النفري الحميدي الفاسي أبو زكريا عرف بالسراج الفقيه المحدث الصالح، انتهت إليه رياسة الحديث في وقته، كثير الرواية، القائم بها فهما ودراية، العالم الصالح الصوفي الناصح. توفي بفاس عام 805هـ وقيل803هـ[1] .

_ **الشاطبي:** إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، الغرناطي أبو إسحاق الشهير بالشاطبي قال في البستان:" وعنه أخذ الإمام أبو إسحاق الشاطبي"[2]. وقد أثبت هذه التلمذة المجاري الأندلسي في برنامجه حيث قال:" ومن شيوخه الشيخ الفقيه النظار أبو علي منصور بن عبد الله الزواوي قرأ عليه مختصر منتهى السول والأمل في علمي الأصول والجدل للإمام أبي عمرو بن الحاجب من أول مبادئ اللغة إلى آخره بلفظه إلا يسيرا منه سمعه بقراءة غيره وكل ذلك قراءة تفقه ونظر، وأجازه إجازة عامة بشرطها" [3]. والشاطبي هو: الإمام العلامة المحقق القدوة الحافظ الجليل المجتهد كما يصفه مترجموه[4].

تتلمذ له الشاطبي في الأصول حيث درس عليه مختصر ابن الحاجب في الأصول[5]. وكان كثير الإجلال له يصدره بأفخم الألقاب، فتارة يقول:" شيخنا الأصولي أبو علي الزواوي ..." [6] وتارة يقول:" "شيخنا الأستاذ العالم النظار"[7].

---

(1) التنبكتي634. الونشريسي، أحمد بن يحيى أبو العباس، الوفيات المحقق: محمد بن يوسف القاضي، شركة نوابغ الفكر للنشر والتوزيع، ط:1/2009م.49،48. مخلوف محمد بن محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة 1439هـ.1/249

(2) ابن مريم 293،294.

(3) المجاري أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن عبد الواحد، برنامج المجاري تحقيق :محمد أبو الاجفان الناشر :دار الغرب الاسلامي - بيروت ط:1، 1982م 119.

(4) التنبكتي 48_49 مخلوف 231 الحجوي82/4، الشاطبي، الإفادات والإنشادات مقدمة المحقق الدكتور أبو الأجفان 9_53. الريسوني أحمد، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي،، دار الكلمة للنشر والتوزيع، مصر، ط:1، 1997م 79.

(5) الشاطبي23.

(6) نفسه 163.

(7) نفسه 156 وص81.

ويمكن أن ندرج ضمن تلاميذه لسان الدين الخطيب وأبناؤه الثلاثة: عبد الله ومحمد وعلي . فقد أجازهم إجازة عامة. قال رحمه الله :"أجزت صاحبنا الفقيه المعظم، أبا عبد الله بن الخطيب وأولاده الثلاثة عبد الله، ومحمداً، وعلياً، أسعدهم الله، جميع ما يجوز لي وعني روايته"[1] فلسان الدين الخطيب و أبو علي الزواوي كل منهما استفاد من الآخر. وهذا من تواضعهما ونبل أخلاقهما، وأكد الخطيب تواضعه الجم فقال:" حريص على الإفادة والاستفادة، مثابر على تعلم العلم وتعليمه، غير أنف عن حمله عمن دونه، جملة من جمل السذاجة والرجولة وحسن المعاملة"[2].

وأضاف المقري في نفح الطيب، وفي أزهار الرياض في أخبار عياض تلميذا آخر هو:

_ **ابن زمرك:** محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد الصريحي، أبو عبد الله المعروف بابن زمرك، وزير من كبار الشعراء والكتاب في الأندلس. تتلمذ على جملة من أهل العلم منهم: أبو علي منصور الزواوي. قال لسان الدين الخطيب في الإحاطة والمقري في نفحه :"وقرأ الأصول الفقهية على أبي علي منصور الزواوي"[3]. وقال في موطن آخر:" وأخذ علم الأصلين عن الحافظ الناقد أبي علي منصور الزواوي"[4].

إن الأستاذ الإمام أبا علي الزواوي لم يذكر له إلا القليل من التلامذة، ومن هذا القليل الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الشاطبي، ولسان الدين الخطيب، وابن زمرك لكن قليله كثير. كما قال الشاعر:

قليل منك يكفيني ولكن قليلك لا يقال له قليل.

مصنفاته:

كل من ترجم للإمام الأستاذ الأصولي أبي علي منصور بن علي المشدالي لم يذكر له مصنفات، وعدم الذكر لا يعني عدم الوجود؛ فقد يكون لمترجمنا مؤلفات طواها

(1) الخطيب 251/3.

(2) نفسه248/3.

(3) الخطيب 197/2، المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد، تحقيق د. إحسان عباس، الناشر دار صادر، طبع سنة 1388هـ ،بيروت 145/7.

(4) المقري نفح الطيب، 166/7. المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض9/2.

الزمان. بيد أن أشهر تلاميذه وهو الإمام أبو إسحاق الشاطبي لم يبخل علينا بفوائد استفادها من شيخه، وإن كانت هاته الإفادات نقلها المترجم له عن غيره من أهل العلم، فنقل لنا الشاطبي بعضا منها في كتابه الإفادات والإنشادات، ومن هذه الفوائد:

1_قال الإمام الشاطبي:" **إفادة: سر تشريع ذبح الحيوان** حدثنا الأستاذ الفقيه الجليل الأصولي أبو علي منصور الزواوي رضي الله عنه أن الفخر بن الخطيب سأل سيف الدين الآمدي فقال له:لم أجاز الشرع ذبح الحيوان في حق الإنسان، وهو تعذيب له، وتعذيب الحيوان على خلاف المعقول؟ فقال له سيف الدين: إتلاف الخسيس في حق النفيس من مناهج العقول. فقال له الفخر: لو كان كذلك لجاز أن تذبح أنت في حق ابن سينا".[1]

2_ ويحدثنا في إفادة أخرى عن مصادر فخر الدين الرازي في تفسيره؛ فيقول:"حدثني الأستاذ أبو علي الزواوي عن شيخه الأستاذ الشهير أبي عبد الله المسفر أنه قال: إن تفسير ابن الخطيب [الفخر الرازي "مفاتيح الغيب"] احتوى على أربعة علوم نقلها من أربعة كتب، مؤلفوها كلهم معتزلة ؛ فأصول الدين نقلها من كتاب الدلائل لأبي الحسين. وأصول الفقه نقلها من كتاب المعتمد لأبي الحسين أيضاً، وهو أحد نظار المعتزلة، والذي كان يقول فيه بعض الشيوخ: إذا خالف أبو الحسين البصري في مسألة صعب الرد عليه فيها. قال: والتفسير من كتاب القاضي عبد الجبار. والعربية والبيان من الكشاف للزمخشري"[2].

3_وإفادة أخرى في حد العلم عند ابن الحاجب قال الشاطبي رحمه الله :

حدثنا الأستاذ أبو علي الزواوي، قال لما رحل أبو العباس أحمد بن عمران اليانوي من بجاية إلى تلمسان تاجراً لم يلبث أن جاء إلى مجلس أبي زيد بن الإمام مشتملاً في زي التجار، فجلس حيث انتهى به المجلس، فألفاهم يتكلمون في كتاب أبي عمرو بن الحاجب الأصلي(وهو كتاب في علم الأصول عنوانه ."المختصر الأصلي ") في قوله في حد العلم: **صفة توجب تمييزاً لا يحتمل النقيض**، فلما أتموا البحث فيه، نادى أبو

(1) الشاطبي 87.

(2) نفسه 100، 101.

العباس: يا سيدنا هذا الحد غير مانع، فإنه ينتقض عليه بالفصل والخاصة...فقال له يا فقيه إنما قال ابن الحاجب: توجب تمييزاً، والفصل والخاصة إنما توجبان تَمَيزا لا تمييزاً، وهذا جوابك."[1].

4_كما نقل عنه فائدة مهمة في شروط العالم، قال الإمام الشاطبي :" كثيرا ما كنت أسمع الأستاذ أبا علي الزواوي يقول: قال بعض العقلاء: لا يسمى العالم بعلم ما، عالما بذلك العلم على الإطلاق، حتى تتوفر فيه أربعة شروط:

أحدها: أن يكون قد أحاط علماً بأصول ذلك العلم على الكمال.

والثاني: أن تكون له قدرة على العبارة عن ذلك العلم.

والثالث أن يكون عارفاً بما يلزم عنه.

والرابع أن تكون له قدرة على دفع الإشكالات الواردة على ذلك العلم.

قلت_أي الشاطبي_: وهذه الشروط رأيتها منصوصة لأبي نصر محمد بن محمد الفارابي الفيلسوف في بعض كتبه".[2]

5 _وفي فائدة أخرى عن استعمال دليل القلب عند الجدليين؛ وهو الاستدلال على نقيض الحكم بعين الدليل صورة ومادة. قال الإمام الشاطبي:" إفادة:استعمال القلب لفهم تعبير فقهي. مثل لنا شيخنا الأستاذ العالم أبو علي الزواوي في أثناء القراءة عليه لكتاب ابن الحاجب الفرعي عند قوله: والمذهب أن المني نجس. القلب عند الجدليين؛ وهو الاستدلال على نقيض الحكم بعين الدليل صورة ومادة. وقال: مثله لنا الأستاذ أبو عبد الله المسفر رحمه الله، ونحن نقرأ كتاب ابن الحاجب عند قوله: والمذهب أن المني نجس. فقال: إن بول الغنم عند الشافعي نجس، والمني عنده طاهر. فيقول المالكي: الدليل على أن المني نجس أن بول الغنم؛ إما أن يكون نجساً، وإما أن يكون طاهراً؛ وأياً

(1) الشاطبي 103،104.

الفصل: مفهوم كلي يتناول من الماهية الجزء الذي يميز النوع عن سائر الأنواع المشاركة له في الجنس. مثاله: الناطق (الإنسان)

الخاصة: مفهوم كلي، هو من صفات الشيء الخارجة عن ما هيته، والخاصة به مثاله : الضاحك (الإنسان).

(2)نفسه 107.

ما يكون فيلزم نجاسة المني؛ فإن كان نجساً فيلزمه نجاسة المني، عملاً بالمشترك، وهو الاستقذار مثلاً، والاستحالة إلى فساد أو نحو ذلك. وإن كان طاهراً فيلزم نجاسة المني، وإلا انتهض الإجماع في موضع الخلاف، وذلك باطل.

فيقول الشافعي: الدليل على أن المني طاهر، أن بول الغنم إما أن يكون طاهراً، وإما أن يكون نجساً؛ وعلى كل تقدير يلزم ن يكون المني طاهراً، فإن كان طاهراً، فيلزم طهارة المني عملاً بالمشترك، وهو: أن كل واحد منهما فضلة تبرز من محل واحد، ونحو ذلك مما يمكن. وإن كان نجساً فيلزم طهارة المني، ولا ينهض الإجماع في موضع الخلاف. قال فما كان مثل هذا الدليل فهو باطل[1].

بعض فتاوى الفقيه أبو علي منصور الزواوي:

حفظ لنا الفقيه أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي في موسوعته "المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب" بعض فتاوى مترجمنا التي تدل على دقة استنباطاته، ووفور علمه وسعة اطلاعه. إذ تقرر سابقا أنه تصدر للافتاء زمانا طويلا. وفي هذه الفتاوى أو النوازل القليلة التي وصالتنا لم يخرج أبو علي الزواوي عن مذهب مالك رحمه الله ومنها:

1_ مسألة من قال لزوجته رأيتك تزني فأنكرت ولا شهود.

قال الونشريسي:"وسئل أبو علي سيدي منصور بن علي الزواوي عمن قال لزوجته رأيتك تزني ولم يشهد على ذلك غيره، وهي منكرة، هل يقع اللعان بينهما؟ أو إنما يجب عليها العدة فقط؟

فأجاب: إذا كان الأمر كما ذكر من رؤية الزنى، وخاف أن تحمل منه، فواجب عليه اللعان، لئلا تأتي بولد أجنبي منه، وإن لم يخف من ذلك، فيعزلها حتى تستبرئ من الماء الفاسد، فإن شاء لاعنها، وإن شاء أبقاها زوجة. والله تعالى أعلم"[2].

(1)المرجع نفسه ص169.

(2) المعيار 327/4.

2_حكم ما يعطيه الملوك للزوايا وأبناء الصالحين.

وسئل سيدي أبو علي منصور بن على الزواوي من فقهاء تلمسان عن مسألة تظهر من جوابه.

فأجاب: إن كان الأمر على ما ذكر، فالأظهر نظرا وقياسا أن كل ما حرر لأجل التبرك بزاوية الشيخ وبقصد عمارتها أو القيام بقاصدها، أو لمحاشاة ذريته من الوظائف المخزنية، والمغارم السلطانية، يكون كالمال المفقود فيقتسمونه على المفاضلة في الدين، والقيام بأحول الزاوية المذكورة، قسمة انتفاع لا قسمة تمليك، لأن مقصود السلاطين عرفا وعادة بذلك التحرير التبرك بذلك الشيخ وبذريته وبمقامه. فلا يخرج من ذلك التحرير إلى الفاسق المعلن بفسقه، فإذا تاب رجع إليه نصيبه، فيشمله ما شملهم من المحاشاة والحرية مما يقصده الملوك عادة من التحرير لأولاد المرابطين والصالحين، فلا تصح في ذلك حيازة لتجدد المستحقين، وسقوط حق الميتين. وليقدموا رجلا فاضلا منهم يتولى القسمة بينهم كما قلنا. ولا تحرم المرأة الصالحة بينهم. ولها نظائر يطول ذكرها من الأمهات. والله أعلم"[1].

3_العَقْدُ على المرأة في عِدَّة الزِّنى

وسئل بعض فقهاء بلدنا بما نصه: يكتب لنا سيدنا بالمختار من القولين في قول ابن الحاجب: فإن كان مِنْ زنى فقولان بتأبيد التحريم وعدمه فيمن نَكَحَ امرأة في عدة من زنى. وهل اختار واحد من الشيوخ المتأخرين ما اختاره ابن رشد من عكس قول ابن القاسم كما ذكر ابن عبد السلام أم لا؟

فقد أفتى الشيخ أبو علي منصور الزواوي أن المختار عدم التأبيد، ونسبه إلى ابن القاسم، ولم يفرق بين الحامل والحائل[2].

هذا ما وقفت عليه من فتاوى أبو علي الزواوي في "معيار" الونشريسي وهي نزر يسير، وغيض من فيض فتاوى فقيه أصولي تصدر للإفتاء زمانا كما ذكر مترجموه، وهي على نزارتها تبين أن الرجل كان يرجح ويتخير من أقوال كبار المجتهدين في المذهب.

(1) نفسه 171/6.

(2) نفسه 46/2، 47.

محنته بالأندلس:

دخل الإمام أبو علي منصور الأندلس في عام ثلاثة وخمسين وسبعماية(753هـ)، فلقى ترحاباً، وعرف أهل العلم قدره، وشرفت المدرسة النصرية بأن يكون أستاذا بها، ومفيدا لطلابها، والتف الناس حوله، لكن تربص به المتربصون من أجل النيل منه، ذلك أنه أفتى _ كما روي _ في رجل نال من جناب الله والرسول صلى الله عليه وآله وسلم بفتوى، لم تعجب جمعا من الفقهاء، فألبوا عليه السلطان والعامة، فلم يتنازل عن اجتهاده، ولا عدل عن فتواه، فقرروا نفيه، بعد أكثر من عقد من التدريس والإفتاء والإفادة في الأندلس، وكان ذلك سنة 765 هـ، فعاد إلى تلمسان، واستقر بها إلى أن توفاه الله. وقد ذكر قصة المحنة لسان الدين الخطيب في الإحاطة، وعنه نقلها التنبكتي في نيل الابتهاج وابن مريم في البستان قال رحمه الله:" امتحن في هذا العهد الأخير بمطالبة شرعية، لِمُتَوقَفٍ صدر عنه، لما جمع الفقهاء للنظر في ثبوت عقد على رجل نال من جانب الله والنبوة، وتوقف في القول بتكفيره [في الإحاطة: شك في القول بتكفيره] فقال القوم بإشراكه في التكفير ولطخه بالعاب الكبير [وفي البستان: ولحقه منهم أذى بالغ كبير]، إذ كان كثير المشاحة لجماعتهم، فأجلت الحال عن صرفه عن الأندلس في أواخر شعبان عام خمسة وستين وسبع مائة[1].

لقد كان الأستاذ أبو علي الزواوي صلبا في الحق لا يخاف في الله لومة لائم، لا يتراجع عن فتوى أداه إليها النظر والاجتهاد، ولو خالف فيها جمع الفقهاء، وكان عاقبتها الإذاية والامتحان والنفي. وهذا ديدن العلماء المجتهدين الذين يدورون مع الحق حيث دار. فلم يشتر العافية والسلامة بتكفير من لا يستحق التكفير في نظره واجتهاده، لأنه ليس ممن يبيع دينه بدنيا غيره.

ثناء العلماء عليه:

أثنى الخطيب في " الاحاطة" على مترجمنا ثناء عطرا، في اعتدال شخصه، وجميل أخلاقه، واستقامة ظاهره، وسذاجة باطنه وأنه:" مشتغل بشأنه، عاكف على ما يعنيه، مستقيم الظاهر، ساذج الباطن، منصف في المذاكرة، موجب لحق الخصم... " كما أثنى

(1) الخطيب3/325 التنبكتي611 ابن مريم 293.

على موسوعيته، وإجادته لكثير من العلوم، فقال:" له مشاركة حسنة في كثير من العلوم؛ العقلية والنقلة. واطلاع وتقييد، ونظر في الأصول، والمنطق وعلم الكلام، ودعوى في الحساب والهندسة والآلات. يكتب الشعر فلا يعدو الإجادة والسداد.... جربت صحبته، فبلوت منه ديناً ونصفة، وحسن عشرة " [1].

كما أثنى لسان الدين الخطيب على نثره، والخطيب انتهت إليه زعامة العلم والأدب في الأندلس_كما يقول أحمد حسن الزيات_ وفاق أقرانه . وحسبك بشهادة فصيح الأندلس وبليغها، الذي ما أنجبت بلاد المغرب والأندلس مثله يقول في إمامنا الأستاذ النظار الأصولي أبي علي منصور بن علي :"يكتب الشعر فلا يعدو الإجادة والسداد... وقال عن نثره "...على هذه الوتيرة من التزام السجع، وتقرير الحلى فأجاد، وتجاوز المعتاد"[2]

لقد كان الأستاذ أبو علي آية في البلاغة، وأعجوبة في الفصاحة، ويكفى في هذا شهادة نابغة المائة الثامنة وأشهر أدباء الأندلس شعراً وكتابة وتفنناً في العلوم لسان الدين الخطيب _ كما يقول مصطفى صادق الرافعي[3] .

ويقول عنه تلميذه الشيخ يحي السراج في فهرسته كما في نيل الابتهاج: " شيخنا الفقيه الأستاذ الجليل المقرئ المدرس الأصولي النحوي، أبو علي منصور كان شيخا فاضلا فقيها نظارا معدودا في أهل الشورى، له مشاركة في كثير من العلوم العقلية والنقلية، واطلاع وتقييد ونظر في الأصول والمنطق وعلم الكلام"[4].

وقد مر ثناء الإمام الشاطبي عليه ووصفه له بالأستاذ الأصولي النظار.

شعره:

حفظ لنا لسان الدين بن الخطيب في "الاحاطة"، شيئا من شعره، وهي بضعة

(1) الخطيب 3/325،324.

(2) نفسه 3/327، 328.

(3) الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، تصحيح محمد سعيد العريان، لقاهرة 1940 148/2 و 264 الزيات، تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن القاهرة بلا تاريخ، ص 344.

(4)التنبكتي612، ابن مريم 292.

أبيات ذكرها عند الترجمة له، و كانت بطلب من لسان الدين الخطيب. وقصيدة أخرى جليلة عظيمة أوردها عند الترجمة لمحمد بن أحمد بن علي الهواري، وهذا القليل والنزر اليسير يكشف لنا عن أديب كبير، وشاعر مُفْلِق.

ومما أنشده عند قدومه غرناطة في حق لسان الدين الخطيب:

يا من وجدناه لفظا حقيقة في المعالي
مقدمات علاكم أنتجن كل كمال
وكل نظم قياس خلوت منه فخال[1].

ونقل الحطيب من شعره:

علي لكل ذي كرم ذمام ولي بمدارك المجد اهتمام
وأحسن ما لدي لقاء حر وصحبته معشر بالمجد هام
فمن كل البلاد لنا ارتحال وفي كل البلاد لنا مقام
وحول موارد العلياء منها لنا مع كل ذي شرف زحام
تصيب سهامنا غرض المعالي إذا ضلت عن الغوص السهام

إلى آخر القصيدة [2].

وفاته:

توفي أبو علي منصور بن علي بعد سنة 770 هـ في تلمسان ودفن بها- رحمه الله رحمة واسعة. -قال التنبكتي:"وكان حيا بعد السبعين والسبعمائة[3] وقال ابن مريم:" وكان حيا في حدود السبعين والسبعمائة"[4].

(1)الخطيب 329/3، 330.
(2) الخطيب 2/ 331_333.
(3) التنبكتي613.
(4) ابن مريم 294.

المصادر و المراجع:

- ابن الأحمر، أبو الوليد إسماعيل، نثير فوائد الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان، أو أعلام المغرب والأندلس، تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، بيروت / لبنان، ط: 2 /1987م.

- ابن القاضي، أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي، درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق / محمد الأحمدي أبو النور مطبوع سنة 1390هـ دار التراث القاهرة، المكتبة العتيقة تونس.

- ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السطان الأكبر، دار احياء التراث العربي بيروت، ط:4، بدون تاريخ.

- ابن فرحون، ابراهيم بن علي بن محمد، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دار التراث للطباعة، القاهرة.

- ابن مريم، أبو عبد الله محمد بن محمد، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، راجعه محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية سنة 1908م.

24- التنبكتي أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا، ط:1/1989م.

- الحجوي، محمد بن الحسن الثعالبي، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، إدارة المعارف بالرباط، 1345هـ.

- الخطيب، لسان الدين محمّد بن عبد الله، الإحاطة في أخبار غرناطة، حققه ونقح نصوصه محمد عبد الله عنان، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط:1975م- وطبعة دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت - 2003 هـ /ط:1،تحقيق : د. يوسف علي طويل.

- الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، تصحيح محمد سعيد العريان، القاهرة 1940م.

- الريسوني، أحمد، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، دار الكلمة للنشر والتوزيع، مصر، ط:1، /1997م.

- الزركلي، خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين دار العلم للملايين، بيروت.

- السخاوي شمس الدين، أبو الخير محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن

التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت.
- الشاطبي، أبو إسحاق ابراهيم بن موسى الإفادات والإنشادات،، تحقيق الدكتور محمد أبو الأجفان، مؤسسة الرسالة، ط:4، بيروت/لبنان، 1983م
- الغبريني، أبو العباس أحمد بن أحمد، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية حققه عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت. ط:2 /1979م.
- الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، المحقق : إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي - بيروت ط: 2، 1982.
- كحالة، عمر معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي بيروت، بدون تاريخ.
- المالقي، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن، تاريخ قضاة الأندلس دار الآفاق الجديدة - بيروت 1983م ط:5 تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في الدار.
- المجاري، أبو عبد الله محمد بن محمد، برنامج المجاري، تحقيق :محمد أبو الأجفان، دار الغرب الاسلامي - بيروت ط:1، 1982م.
- مخلوف، محمد بن محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية،، المطبعة السلفية، القاهرة 1439هـ
- المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، 1388هـ، بيروت.
- أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق: مصطفى السقا، وآخرون، مطبعة فضالة، بدون تاريخ.
- المكي، أبو الطيب محمد بن أحمد، ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1، 1990م.
- نويهض عادل، معجم الأعلام، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت- لبنان، ط:2، 1980 م.
- الونشريسي، أبو العباس أحمد بي يحيى: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية و الأندلس والمغرب، الدكتور محمد حجي وآخرون، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، 1981م.
- وفيات الونشريسى، تحقيق: محمد بن يوسف القاضي، شركة نوابغ الفكر ط:2009/1م.